

أبو الحسن علي الحسيني الشاذلي

# منهج فضل في الإصلاح

للدعاة و العلماء

ملتزم النشر و التوزيع  
المجمع الاسلامي العلمي - ندوة العلماء  
لكهنو ( الهند )

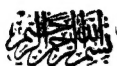
من مطبوعات المجمع الاسلامى العلمى

---

رقم - ٥٠

المطبعة الندوية (مؤسسة الصحافة و النشر)

ندوة العلماء - ص ٠ ب ٩٣ - لكهنؤ (الهند)



## كلية الناشر

هذه الرسالة في الأصل محاضرة ألقاها سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي في شعبان سنة ١٣٨٩ هـ في قاعة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة أمام طلبة الجامعة و تلاميذ كلية الدعوة المرشحين للدعوة الاسلامية في أفريقيا و غيرها من القارات ، و كان حفلا مشهوداً حضره أكبر عدد من الطلبة ، و أكثر أساتذة الجامعة ، و كبار المسؤولين ، وقد جاءت في هذه الكلمة المرتجلة لفئات عميقة و ملاحظات دقيقة عن تاريخ الدعوة الاسلامية و سيرها و تجاربها في الهند ، لا يجدها القارئ إلا في كتب التاريخ المبسوبة ، مشورة مبعثرة ، عابرة غامضة ، قد لا يتبها و يعرف قيمتها . و هي كلمة مستفيضة أخذنا منها ما يتصل بمنهج الإصلاح و الدعوة في الحكومات الاسلامية ، و هو لب لباب الموضوع و جوهر المحاضرة ، و قد يمكن الاستفادة منها — إذا حالفنا التوفيق — في ظروفنا المتغيرة و تجاربنا التي مررنا بها في عهدنا الأخير .

الناشر

## بسم الله الرحمن الرحيم

اختار الله للدعوة الإسلامية في الهند أصحاب قلوب رقيقة ، لأن الشعب الهندي هو رقيق الشعور قوى العاطفة ، يفعل فيه الحب و الحنان ، ما لا يفعله المنطق و البرهان ، فاختار الله للدعوة الإسلامية في الهند ، أصحاب قلوب لينة خفاقة ، و عيون دامعة فياضة ، هؤلاء الذين كانت عيونهم تدمع لكل مفعوج منكوب ، و كانوا يؤوب كل طريد و شريد ، ويلجئون كل من أقصته الأسرة و طردته القرية . كان الفرق بين البرهمي و غير البرهمي أكبر من الفرق بين الانسان و الحيوان ، إن الكتب التي تناولت هذا الموضوع ، (النظام الطبقي والاجتماعي في الهند) كثيرة (١) ، ثم كان غير البراهمة طبقات ، ثم هنالك سيدات مات أزواجهن فكن يحرقن أنفسهن مع أزواجهن وكان ذلك من العادات التي تفردت بها الهند .

---

(١) ليراجع للتفصيل كتابا المؤلف « ماذا خسر للعالم بانحطاط المسلمين » و « السيرة النبوية » .

فكان أولئك الربانيون يلجئونهم في ملاجئهم العلمية والروحية ، يطعمونهم معهم ، ويجلسونهم على مائدة واحدة ، ما كان هنالك من المألوف أن يؤاكل إنسان إنساناً ، و لا يزال هذا في الهند ، إذا سافرت في القطار ترون صديقين من غير المسلمين يتحدثان و يتلاطفان ، فإذا حضر الطعام صرف هذا وجهه إلى الغرب ، و هذا وجهه إلى الشرق ، بدأ يأكل هذا و بدأ يأكل ذلك ، كأنه لا لقاء بينهما ، فهؤلاء الدعاء و المربون كانوا يعاملون أولئك اللاجئين معاملة الأولاد وكانوا يجلسونهم على مائدة واحدة ، ويفضلونهم على أنفسهم وأولادهم ، وبذلك انتشر الاسلام انتشاراً هائلاً في هذه البلاد التي تشبه قارة .

وكانوا مع هذا الزهد و الابتعاد عن قبول الصلات الملكية ، يشرفون على الحكومة و يراقبونها من بعد ، كالنار يصطلي بها الانسان و يستدفئ بها ولا يمسها فتحرقه ، و كان ذلك إلهاماً من الله تعالى .

أنا أؤمن بأن الداعية المخلص ، لا يكون داعية إلا

إذا كان ملهما مؤيداً من الله ، فكانوا يراقبون الدولة ويراقبون اتجاهاتها و ميولها ، و يرون هل المجتمع الاسلامى إلى خير أم إلى شر ، و إلى صلاح أم إلى فساد ، وهل هناك اتجاه موافق للاسلام أم معارض للاسلام ؟ فإذا كان هناك اتجاه معارض للاسلام جروا الحبل من بعيد وباحتياط ، وأشاروا على الملك بما هو صالح للعباد والبلاد ، وبما فيه تأييد للدين و تقوية للمسلمين ، وقد تكون لهم يد خفية فى اختيار ملك أو عزل و نصب .

فإذا سنحت لهم فرصة لكلمة حق عند سلطان جائر ، كانوا من أفصح الناس و أشجعهم ، أحكى لكم قصة واحدة : إن محمد تغلق عرف فى تاريخ الهند بالجبروت والطغيان — بل بالجنون و الهوس — و يسمى فى تاريخ الهند « السلطان العاقل المجنون » ، إنه كان رجلاً علامة ، و هو أول ملك من ملوك الهند اطلع على مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية و أعجب بها ، إنه كان فى آخر القرن الثامن و كان شديد الانكار على المنكرات و البدع ، و قد عسكر

مرة بقرب عالم ربانى اسمه الشيخ قطب الدين منور ، وجاء العلماء و الشيوخ يسلمون عليه ، ولزم الشيخ بيته فلم يأت ، و غضب الملك و طلبه إلى دهلى عاصمة البلاد ، ولما حضر البلاط و دخل الديوان رأى الأمراء و الوزراء و الحكام و رجال البلاط و اققين سماطين (١) متخشعين مسلحين ، فى هيئة تخلع منها القلوب ، و كان معه ولده نور الدين و كان حديث السن لم يزر بلاط الملك فى حياته ، ففرع لهذا المنظر الغريب و امتلاً رعباً ، فناداه الشيخ قطب الدين بصوت عال قائلاً : يا ولدى العظمة لله ! ، يقول نور الدين : إني استشعرت فى قوة غريبة بعد هذا النداء ، و زالت الهيبة من نفسى و ذابت ، و بدأ الجميع عندى كأنهم قطع من ضان أو معز ، و سأل الملك الشيخ و عاتبه قائلاً : « إننا مررنا بزاويتكم فلم تشرفونا بزيارتكم و موعظتكم ، فأجاب الشيخ : إن هذا الفقير لا يجدر بمقابلة الملوك ، إنه يعيش فى عزلة و يدعو للملك و لجميع المسلمين ، فعليكم أن تعذرونى فى هذا الأمر ، و بعد انصرافه قال الملك لوزرائه : إنه

---

(١) أى صفيين متقابلين .

صافح كثيراً من الشيوخ و العلماء فكانت أيديهم ترتعش خوفاً و إشفاقاً ، أما هذا الشيخ فما وجدت في كفه لنا و ضعفاً ، و ما رأيت في يده ارتعاشاً ، بل صافني بقوة و حرارة زائدة و اعتزاز نفس .

و قدم إليه الملك مائة ألف د تنكة ، ( قطعة ذهب ) فقال الشيخ سبحان الله تكفيني أقتان من أرز و سمن بفلس واحد ، ماذا أفعل بهذا المال الكثير ؟ و لكن قيل له إن الملك يسخط إذا لم يقبل هذه الهدية وينقم منه ، فقبل الشيخ ألى روية و قسمها بين إخوانه و أصحابه و ذوى الحاجة ، هذه قصة من القصص الكثيرة ( ١ ) .

و الآن أتحدث إليكم عن دور الإصلاح و التنظيم ، لما رسخت الحكومة الاسلامية في الهند و انتشر الاسلام انتشاراً واسعاً في جميع أنحاءها ، تأثر المسلمون بمواطنهم الهنود ، فانتقلت إليهم عادات الجاهلية ، و انتقلت إليهم بعض العقائد الخرافية ، و تسرب إليهم الشرك و البدع

---

( ١ ) نقلنا القصة بطولها من كتاب المؤلف د المسلمون في الهند ، إتماماً للفائدة و إكمالاً للحديث .



و تغلغت فيهم الفلسفة اليونانية و الفلسفة الهندية القديمة ،  
وعن طريق هاتين الفلسفتين انتقلت إليهم اتجاهات ونزعات  
لا يقبلها الاسلام ، فهناك جاءت مرحلة الاصلاح والتنظيم ،  
ولما جاءت هذه المرحلة ، قىض الله في هذه المرحلة الدقيقة  
رجالا غيارى متألين للاسلام ، وهبوا نفوسهم و أرواحهم  
و مواهبهم و ذكاهم لقيادة المسلمين في هذه البلاد .

و اتفق أن أكبر ملك عرفه تاريخ الهند ، هو الملك  
المغولى السلطان جلال الدين أكبر بن همايون بن بابر مؤسس  
الحكومة المغولية في الهند ، اتجه اتجاهاً معارضاً للاسلام ،  
ونشأ فيه عداة للاسلام و عناد شديد للدين الاسلامى  
و صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ، و عطف شديد  
على البراهمة و عقائدهم و عاداتهم .

هذه مرحلة أدق من مرحلة الجاهلية المحضة ، إذا  
كانت بلاد لا تعرف الاسلام فقضيتها قضية سهلة ، إذا  
تعرفت بالاسلام فقد تعرفت بالاسلام الحقيقى و الدين  
الخالص ، ولكن إذا ثار الملوك و الحكام على الاسلام ،

و انحرفوا عن الجادة و ارتدوا عن الاسلام أو عارضوه ،  
فها العقدة الكبرى .

إن « أكبر » ، كان أولاً مغرمًا بدراسة الديانات ، كان  
من سوء حظه أنه كان أمياً أو شبه أمى ، لم تسمع حياته  
الخاصة بدراسة و ثقافة — و لكن مع ذلك عنده غرام  
بالمقارنة بين الديانات — و الانسان إذا كان جاهلاً وليست  
عنده الوسائل الكافية للمقارنة الآمنة ، والوصول إلى النتائج  
الصحيحة ، فهذه محنة عظيمة ، و هذا الرجل كان يجمع بين  
طبعتين متناقضتين ، جاهل ولكنه كان مفرط الذكاء ، سريع  
الانفعال عصبياً ، ومغرمًا بالمقارنة بين الديانات ، فجمع علماء  
أهل السنة و علماء الشيعة و علماء الطوائف الاسلامية التي  
انحرفت عن الاسلام ، وعلماء البراهمة و البوذيين والمجوس  
و المسيحيين ، و كان يثير موضوعاً خلافاً يناظر فيه هؤلاء  
العلماء فكانوا يتناقرون كالديك و يتناطحون كالتيوس ، وكان  
يتفرج على ذلك ويتسلى به ، كما كان الملوك في العصر القديم  
يتفرجون على قتال التيوس وبعض الطيور ، هذه المناظرات

قد غرست في قلبه الشكوك وصار ينسلخ عن الاسلام  
رويداً رويداً حتى انسلخ تماماً .

ثم العامل الثاني الذي أثر فيه وعدل به عن الاسلام ،  
هو حب العلماء الزائد للدنيا و تنافسهم في الجاه و المال ،  
كان في بلاطه علماء يعتبرون من كبار العلماء في عصره ،  
ولكنهم مع الأسف الشديد ، كانوا متنافسين تنافساً شديداً  
في الجاه ، و كان كل واحد يريد أن يستأثر بالملك و كان  
بعضهم ادخر مالا عظيماً ، و كان بعضهم استخرجت من  
مقبرة أسلافه لبنات من ذهب كان قد خبأها ، فلما اطلع  
هذا الرجل على هذه المناظرات واطلع على مواضع الضعف  
في هؤلاء العلماء الكبار ، الذين كان أحدهم المحدث الأكبر  
و الآخر قاضي القضاة و المفتي الأكبر ، رأى أنهم لصوص  
الدنيا ، و أنهم لا يقلون عن عباد الدنيا في حب المال ،  
فانسلخ عن الاسلام .

و أقول لكم — أيها الاخوان — عن تجربة و اختبار ،  
إن الذي يرتد عن الاسلام يكون أكثر عناداً للاسلام ،

و أكثر معارضة للاسلام و المسلمين من الذين ليس لهم  
عهد بالاسلام ، و من أتباع كل ديانة ، مسيحيين كانوا  
أو يهوداً ، و هذا الذى تشهدونه اليوم فى بعض البلاد  
العربية و الاسلامية ، التى يحكمها الذين ولدوا فى الاسلام  
ونشأوا فى بيت مسلم و فى بيئة مسلمة ، ثم كرهوا الاسلام  
و أبغضوه لتأثير أجنبي أو بفعل ثقافة أو فلسفة ، فهم دائماً  
أشد عناداً للاسلام من الهنادك و المجوس و المسيحيين .  
و نعود إلى القصة فنقول ، إن « أكبر ، عادى  
الاسلام عداءاً شديداً ، حتى يروى عنه أنه كان لا يستطيع  
أن يسمع اسم محمد ، كانت تثور ثأرته إذا سمع هذا الاسم  
الكريم ، فكان لا يملك نفسه ، و قد أصدر الأوامر  
الشديدة بأن كل من سب على أنه ذبح بقرة فانه يقتل ،  
إنه أحل الخنزير و أحل الخمر ، و لكنه حرم ذبح البقر ،  
وحرم على رجال بلاطه أن يسموا أولادهم محمداً أو أحمد .  
هذه فترة دقيقة جداً ، تقرر مصير الهند و تقرر مصير  
المسلمين فى هذه البلاد التى فتحوها بدمائهم ، هذه البلاد

التي هجروا فيها وفي سبلها أوطانهم ، هذه البلاد التي عاشت  
فيها أجيال ، ونبع فيها علماء و مؤلفون ، ونهض فيها دعاة  
ومربون هل يتجرد المسلمون فيها عن دينهم ؟ هل يلفظ  
فيها الاسلام نفسه الاخير ، هل يكتب عليه الفناء ؟

هنالك قام رجل له فضل على كل مسلم في الهند ،  
هو الشيخ أحمد بن عبد الواحد العمرى السرهندي  
( ٩٧١ — ١٠٣٤ هـ ) — رحمه الله تعالى — وكان عالماً  
كبيراً مشاركاً في علوم كثيرة ، وكان إذا أراد أن  
يكون له مركز كبير على كان يمكن أن يتصدر مجلس السلطان  
أكبر ، وكان هناك من دونه في العلم و من دونه في  
الذكاء ، ولكنه ملكته فكرة واحدة : حرام على هذه البلاد  
أن ترتد عن الاسلام و أن يحرم المسلمون فيها حقهم أن  
يعيشوا كراماً أحراراً شرفاء ، يزاولون شعائرهم الدينية ،  
ويحافظون على خصائصهم وشخصيتهم الاسلامية ، ملكته هذه  
الفكرة حتى حالت بينه وبين كل لذة ، فوهب نفسه وحياته  
لها ، ترونه في رسائله ( وأصلها بالفارسية ، وقد نقلت إلى العربية )  
كيف يبكي دماً وكيف يبكي على الاسلام — إن رسائله دافقة

بالحياة، الانسان إذا قرأ هذه الرسائل يشعر بأن فيها شعلة إيمانية ،  
ولهيباً من إيمان وصراحة وحزن، فيقول في إحدى رسائله ،  
كتبها إلى أحد كبار الدولة « واويلاه ، واحزنناه وامصيبتاه ،  
إن أتباع محمد عليه الصلاة والسلام الذى هو حبيب رب  
العالمين ، بهذا المكان من الذل والهوان ، والكفار والمشركون  
و الوثنيون يتمتعون بالحرية ، و هذا فى عهد رجل يسمى  
بالاسلام ، إنه ينزل عن مركز الحكم ، يجلس بعيداً  
ولكنه لم يزل متصلاً برجال البلاط والأمراء ، يكتب إليهم  
الرسائل البليغة التى تسيل عذوبة ، و تشتعل ناراً فى وقت  
واحد، و التى تعتبر من أقوى الرسائل الدعوية والاصلاحية  
فى المكتبة الاسلامية . إنه لم يزل يثير غيرتهم الايمانية  
و يلهم فيهم جمره الايمان التى كانت مدفونة تحت الرماد  
فينزل عنها التراب ، فيقول للواحد منهم « أنت مسلم  
والحياة عارضة، والملك لا يعيش دائماً، وهذا الحكم لا يدوم،  
اتق الله فى نفسك ، اتق الله فى أمتك ، اتق الله فى بلادك ،  
هذا كان دأبه على مر الأيام حتى استطاع أن يجر إليه

عدداً كبيراً من الأمراء و الوزراء و كانت سياسة البلاد تمر  
بمرحلة دقيقة جداً ، لأنه إذا ثار ضد هذا الملك الجبار ،  
الملك الذى ارتد عن الاسلام ، و قد سمعنا قصة ارتداده  
و ثورته على الاسلام ، فان معنى ذلك أن هذه البلاد  
ستذهب إلى الهلاك ، فيستولون عليها لأنهم بالمرصاد ، فلم  
يوافق على أن يعارض الحكومة بالسيف ، لأن هذه الحكومة  
إذا ضعفت فمعنى ذلك أن الهلاك يستولون عليها ، و أنهم  
سيخلقون المسلمين ، فكان من الاحتياط و من الحكمة  
و كان من السياسة ، ألا تضعف شوكة المسلمين المادية  
و العسكرية ، فاقصر على الدعوة ، و اقتصر على الرفق  
و على الحكمة .

فلما مات هذا الرجل خلفه ابنه و خليفته نور الدين  
جهازكبير و كان أحسن سيرة و أسلم عقيدة من أبيه الراحل .  
طلب السلطان الامام السرهندى إلى مقره ، و أكد  
على حاكم سرهند أن يوجه إليه كيف ما استطاع ،  
فتوجه الامام مع خمسة من أصحابه و مريديه - كانوا إذ ذاك

عنده - و لما قرع سمع السلطان مجيئ الامام بعث الامراء والاعيان ليستقبلوه في الطريق ونصب له خيمة بجوار قصره و طلبه في البلاط للمقابلة ، و لما دخل عليه في البلاط لم يأت بالآداب و التقاليد التي كان يلتزم بها الوافدون على السلطان ، فلفت بعض أبناء الدنيا ممن لا يخاف الله نظر السلطان إلى أن الامام لم يراع أدب الدخول عليه ، و لم يأت بالتحية المعتادة للملوك (١) ، فسأله السلطان عن السبب ، فقال إنني لم أزل متقيداً بالآداب والاحكام التي دعا إليها الله ورسوله - ﷺ - ولا أعرف غير هذه الآداب ، فغضب السلطان وقال اسجد لي (٢) ، فقال الامام ما سجدت لغير الله قط ، ولن أسجد لغيره أبداً ، فتغيظ السلطان و زاد غضبه وأمر بفرض الإقامة الجبرية عليه في قلعة كواليار (٣) .

---

(١) كانت هذه التحية تقليداً سائداً في البلاط منذ عهد الملك أكبر ، و كانت تعد من التأدب بالآداب المملوكية و كانت على ثلاثة أصناف ، أولها الركورنش و هو أن يضع يمينه على جبينه و يغطى رأسه إلى الصدر ، و ثانيها التسليم و هو أن يضع ظاهر الكف من يمينه على الأرض و يقوم و يضع باطنه على الرأس ، و ثالثها السجدة كما يسجد في الصلاة .

(٢) حضرات القدس ص ١١٧ .

(٣) أيضاً ص ١١٦ .



لقد كانت هذه الإقامة الجبرية في سجن كواليار تنطوي على حكم ومصالح دينية كثيرة تسبب له الحب و القبول في الناس و تزيده زكاه نفس و سمو روح ، و إشراق باطن ، فشمّر هذا السجن كسجين مصر عن ساق الجد و الاجتهاد في الدعوة و الارشاد في أولئك المسجونين الذين كانوا معه ، و نادى وراء جدران السجن بأعلى صوته « يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، بما اهتزت له أركان القلعة و ارتجت الجدران ، وسمع صدهاء في الخارج ، يذكر بعض المؤرخين أن آلافاً من السجناء من غير المسلمين اهتموا على يديه ، و دخلوا بصحبته و تربيته و إرشاده و دعوته في الاسلام ، و إن مئات من السجناء والمسلمين تابوا على يديه وبايعوه وتمتعوا بصحبته (١) حتى بلغوا درجات الاحسان .

كان لمرافقته دخل كبير في نشأة النزعة الدينية الجديدة في الملك جهانكير و عنايته بتعمير المساجد المنهدمة من جديد ، و شغفه بإقامة المدارس الدينية في المناطق المفتوحة ،

(١) كتاب Preaching of Islam ( الدعوة إلى الاسلام )

لمؤلفه البروفيسور آرنلد Arnold ص ٤١٢ للطبعة الثالث

. دائرة معارف الأخلاق و الديانات ، ص ٧٤٨ ج ٨ .

و ما ظهر منه عام ١٠٣١ هـ بمناسبة فتح قلعة كانكره من  
عواطف إسلامية ، و إظهار شعائر الاسلام فيها (١) فقد  
أمر ببناء أول مسجد في القلعة وذبح البقرة ، و هو يدل على  
حدوث التحول والتقدم في التدين الذي يمكن معه القول بأنه  
كان غيضاً من فيض مرافقة الامام السرهندي و صحبته .  
و لم يزل الشيخ مذكراً للملك و ناصحاً و مشجعاً يرشده  
و يوجهه و يرأسه ، و قد طلب مرة من أمرائه أن يرشح  
له عدداً من العلماء يذاكرهم في الأمور الدينية ، فلما علم  
الشيخ بذلك قال : لا : إن العلماء إذا اجتمعوا فانهم يتنافسون  
و يتناظرون ، فهذا يفسد الملك ، وهذا الذي حدث في العهد  
السابق و أضر بالاسلام ، رجل زاهد في الدنيا : متعمق  
في الدين راسخ في العلم ، أفضل من أن يختار عدد من  
العلماء ، و هم يتصارعون و يتناظرون و يظهرون براعتهم  
و حذقهم ، و هذا لا أراه لك رأياً ، و كان كما قال ، و لم  
يزل نور الدين جهانكير يتدرج من صالح إلى أصلح و من  
حسن إلى أحسن حتى محاً كثيراً من آثار أيه السيئة و أزال  
كثيراً من بدعه و محاربه للاسلام .

(١) انظر : نوك جهانكير ، ص ٣٤٠ و راجع للتفصيل الباب السابع منه  
و ليلاحظ أن هذه القلعة كانت قد فتحت على يد قائد هندي .

و خلف الملك نور الدين جهانكير نجله شهاب الدين  
الملقب بشاه جهان وهو الملك المسلم الخاشع لله ، وهو الذى  
لما تربع على عرش الطاؤس الذى أنفق عليه الملايين نزل  
وخر لله ساجداً يثبت عبوديته و إسلامه ويحمد الله على  
الملك الذى آتاه ، و لم يزل الشيخ و الحبل فى يده فيقبضه  
و يرخيه ، إذا رأى من المصلحة أن يرخيه أرخاه ، و إذا  
رأى من المصلحة أن يحمره جره .

وخلف الشيخ أحمد ابنه النجيب المتمم لعمله و الأمين  
على دعوته الشيخ محمد معصوم بن أحمد بن عبد الأحد  
السرهندي ( ١٠٠٧-١٠٧٩هـ ) وله فضل كبير فى تربية السلطان  
« عالمكير » أورنگ زيب بن شاهجهان الذى يعد من أكبر  
ملوك المسلمين ، ليس فى الهند فقط بل فى تاريخ الاسلام  
(يعنى بعد نور الدين و صلاح الدين وبعض ملوك المسلمين  
الصالحين ) هو الذى دون « الفتاوى الهندية » وجعلها قانوناً  
للدولة ، و هو الذى طبق الأحكام الشرعية بدقة و عناية ،  
و حفظ القرآن الكريم ، و جمع أربعين حديثاً و شرحها ،

و له عوائد والتزامات لا يقدر عليها كثير من العلماء والعباد  
فضلا عن الملوك و السلاطين ، هذا الرجل قلب تيار الحياة  
و أرسخ قواعد الاسلام في هذه البلاد و ربط مصيرها  
بالمسلمين وبالعلم و الدين وأزال خطر زوال الاسلام وجلاء  
المسلمين ، كما وقع في أسبانيا قبل قرنين ، و هذه ناحية  
من نواحي جهاد الشيخ أحمد و تجديده الأولى .

وبغض النظر عن حياة اورنگ زيب الشخصية التي اتفق  
المؤرخون على أنه كان فيها متديناً ، متورعاً ، متمسكاً بالشرعية ،  
عاملاً بها ، محافظاً على نوافل الطاعات ، فضلاً عن الفرائض  
والواجبات ، نكتفي بما يتعلق بالسياسة الشرعية التي في مملكته  
الواسعة وتنظيم الشعائر الاسلامية وتنفيذ الأحكام الشرعية ،  
وبما له من أثر عميق في المجتمع الاسلامي الهندي والاصلاح  
الاجتماعي .

يقول المؤرخ في حوادث العام الثاني من ولاية  
السلطان الموافق عام ١٠٦٩ هـ :

« أسس التقويم المتبع في الادارة و الولاية منذ  
عهد السلطان جلال الدين أكبر على أول « فروردي » التي

تدخل فيها الشمس برج الحمل ، ويزدهر الربيع و كان تاريخ  
 جلوس السلطان قريباً من هذا التاريخ ، فوضع التقويم  
 بدءاً من شهر « فروردى » إلى شهر « اسفنديار » ( ١ ) ،  
 وسمى الشهور « شهوراً إلهية » ، و لما كان هذا الأمر يشبه  
 طريقة السلاطين المجوس عباد النار ، بدأ السلطان - مراعاة  
 للشريعة الاسلامية - التقويم الهلالى العربى للشهور والسنين  
 لجلوسه و إدارته ومهرجاناته ، و أمر بتقديم التقويم العربى  
 الهلالى على التقويم الشمسى ، وأمر بإلغاء الاحتفال بمهرجان  
 نوروز .

و يعلم جميع الناس أن الشهور الهلالية تتغير دائماً ،  
 و تحدث مشاكل و تعقيدات فى استخدام التقويم الهلالى ،  
 و لكن هذا السلطان المتدين لم يبال بمشاكل هذا التقويم ،  
 و انتهى عن الاحتفال بمهرجان « نوروز » ، لتشبهها بطريقة  
 عباد النار المجوس - أصلاً - و يقرر بداية تاريخ الجلوس  
 الثانى بغرة شهر رمضان ، وهكذا بدأ تقويماً جديداً للجلوس ،  
 و أبدل مهرجان نوروز ، بمهرجان عيد الفطر ( ٢ ) .

( ١ ) و هما شهران فى التقويم الايرانى للقديم .

( ٢ ) أيضاً ص ٨٣ — ٨٤ .

و يذكر المؤرخ وقف السلطان للدخل الكبير الذى  
كان يأتى الدولة من طريق غير شرعى ، فيقول :  
« أمر السلطان بالغاء « راهدارى » - ضريبة الطريق -  
الذى كان يؤخذ على جميع الحدود و الثغور ، و توضع  
جميع وارداته فى خزانة الدولة ، فكان دخلها و دخل خراج  
« بلغارى » الذى يسمى « ته بازارى » . . . يزيد على مئات  
الآلاف و يدخل الخزانة السلطانية ، كما ألغى السلطان جميع  
الواردات التى كان دخلها من الحانات و الخمارات والغرامات  
و ما يقدم إلى الموظفين والحكام إظهاراً للشكر وغير ذلك  
عما يبلغ الملايين من الروبيات ، و كان دخلاً كبيراً  
للدولة ، ( ١ ) .

كانت الحسبة منصباً خطيراً فى الحكومات الشرعية ،  
و شعاراً ظاهراً من شعائر الخلافة الاسلامية ، و ألف  
كثير من العلماء لبيان مسئوليات هذه الوظيفة المهمة و نوعية  
العمل فيها كتباً بعنوان « الحسبة فى الاسلام » ، و كانت  
هذه المهمة الخطيرة مهجورة معطللة فى الحكومات المسلمة  
فى الهند ، و أحيا السلطان هذه السنة أيضاً .

---

( ١ ) أيضاً ، ص ٩ .

يقول المؤرخ :

« عين السلطان الشيخ عوض وجهه محتسباً ، وأمره بأن ينهى الناس عن جميع المحرمات ، خاصة عن شرب الخمر ، و تناول الحشيش و جميع المسكرات ، و جميع الفواحش ، و يمنهم - قدر المستطاع - من جميع المسيئات و المنكرات ، (١) .

و يقول المؤرخ فى حوادث و وقائع السنوات من عام ١١ للجلوس إلى ٢١ للجلوس ، الموافق عام ١٠٧٨ هـ .  
« كان السلطان يزداد - كل يوم - اهتماماً بإجراء الأحكام الشرعية و تنفيذها ، و مراعاة الأوامر و النواهي الإلهية ، فكان يصدر فوامين مفصلة لالغاء دخل « راهدارى » و « باندارى » الذى كان يبلغ مئات الآلاف من الروبيات كل عام ، و كان يدخل فى الخزانة السلطانية ، و كان يأمر

---

(١) أيضاً ص ٩٢ ، ذكر مؤلف « نزهة الخواطر » اعتماداً على كتب التاريخ بالفارسية ، أن عالمكبر نسخ عام ٦٩ ١٠ ثمانين نوعاً من الخراج والضرائب ، التى كان دخلها السنوى للخزانة السلطانية ثلاثة ملايين روبية .

بإغلاق الحانات والخمارات ، ومكافئ الرية والفساد ، (١) .  
و يزيد قائلا :

« أمر السلطان بإلغاء الرقص و الغناء و نهى عن  
اجتماع الناس تحت قصر السلطان لزيارته ، و رؤية طلعه  
من نافذة في أعلى القصر - و كان هذا تقليداً من التقاليد  
السلطانية المخترعة ، و يسمى « جهروكه درشن » و ترك  
نفسه الجلوس على النافذة ، استكاراً لهذا التقليد غير الشرعية ،  
كان السلاطين المسلمون في الهند - حسب معتقدات  
الهندوك و عاداتهم القديمة - يثقون كثيراً بالتنجيم و المنجمين ،  
و يعينون الأيام و الشهور لأعمالهم الخاصة حسب ما يقرر  
المنجمون في ضوء علم التنجيم ، ففرض السلطان عالمكير على  
هذه العقيدة و العادة المتبعة ، و أهم من ذلك أن الأحكام  
القضائية كانت تقتصر على محاكم الحكام والأمراء وأحكامها  
فعين السلطان عالمكير قضاة شرعيين وأعطاهم السلطة المطلقة  
فيما يتعلق بالقوانين الشرعية .

« الشعراء و المنجمون الذين كانت لهم مكانة و اعتبار  
في الدولة ، ( خاصة في عهد السلطان شاهجهان ) منعوا من

---

(١) أيضاً ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ باختصار .



ممارسة أعمالهم و عين القضاة للشؤون الداخلية و المرافعات  
الجزئية و الكلية، و حصل لهم من التمكن والاستقلال في  
شؤونهم ما بعث الأمراء و أعيان الدولة على الغبطة  
و الحسد ، (١) .

أما الناحية الثانية من نواحي التجديد فقد عارض الشيخ  
أحمد بن عبد الأحد السرهندي البدع والعقائد الشركية والشعائر  
الجاهلية المجوسية و الفلسفة اليونانية، أشد المعارضة، وهو الذي  
شن الحرب على فكرة وحدة الوجود التي كان لها سحر عجيب  
على العقول والنفوس ، و نفوذ عميق في العلوم و الآداب،  
و كون معسكراً كبيراً له قيمته و أهميته إزاء معسكر وحدة  
الوجود الذي كاد يكون المعسكر الوحيد في الهند وفي البلاد  
العجمية ، فعارض هذه الفكرة معارضة شديدة وحاربها حرباً  
شعواء لا هوادة فيها و لا رفق .

و أنا أقرأ لكم طرفاً من إحدى رسائله الخالدة على  
سبيل المثال :

---

(١) أيضاً ، ص ٢٧١٧ ، و راجع كتاب كذلك (Aurangzeb & His Age)  
لمؤلفة للفاضل ظهير الدين الفاروقى ، أورثك زيب وعصره ، الباب  
، بعنوان A. Reformer .

كتب إليه أحد تلاميذه أن الشيخ عبد الكبير النيني يعتقد أن الله سبحانه و تعالى يعلم الكليات و لا يعلم الجزئيات ، و هو من ضمن الأفكار و العقائد التي تسربت في المسلمين عن طريق الفلسفة اليونانية ، فكتب إليه يقول : « يا أخى ، إنى لا أستطيع أن أصبر على سماع هذه الخرافات و إن عرقى العمرى ينبض ، وإن الدم الفاروقى الذى يجرى فيه يفور (١) كان قائل هذا عبد الكبير النيني أو الشيخ ابن عربى الطائى ، إن الفتوحات المندنية (٢) أغتنا عن الفتوحات المكية (٣) نحن نريد محمد العربى لا الشيخ ابن عربى ، إنا من أتباع النصوص (٤) لا الفصوص (٥) هذا مثال من الأمثلة الكثيرة .

---

(١) لا ينسب أن الشيخ أحمد يتهى نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) .

(٢) يعنى التعليقات النبوية و الأحاديث الصحيحة .

(٣) كتاب مشهور للشيخ ابن عربى .

(٤) يعنى نصوص الكتاب و السنة .

(٥) يشير إلى فصوص الحكم للشيخ ابن عربى و هو يتضمن أشياء الكثر من مثل هذه الأقوال الغريبة .

و الواقع أن عمله التجديدي الأساسى الذى تدور حوله  
سائر أعماله الإصلاحية التجديدية ، و منبعه الأصيل الذى  
تتفجر منه ينابيع جميع مآثره الإصلاحية و جهوده الثورية ،  
و تتحول إلى نهر يجرى فى العالم الإسلامى كله ، هو ذلك  
العمل الإصلاحى العظيم الذى تجلى فى إعادة الثقة والإيمان  
إلى قلوب أبناء الأمة الإسلامية بخلود الرسالة المحمدية  
و حاجة الناس إليها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ،  
و ترسيخ جذور هذه العقيدة المهمة .

و يقول هو نفسه فى رسالة وجهها إلى ابن شيخه محمد  
عبد الله و هو يصور هذا الوضع المكفهر .

« لقد كثرت البدع و المحدثات فى هذه الأيام كثرة  
فاحشة ، حتى ليخيل للناظر أن بجرأ من الظلمات تتلاطم  
أمواجه ، و أن نور السنة فى هذا البحر الهائج المائج يتلأأ  
تلاؤ يراعات منتشرة فى ظلمة الليل البهيم » .

لقد كان معين الإسلام الصافى فى الهند - التى لم يزل  
أساس الإسلام فيها ضعيفاً لأسباب وعوامل تاريخية مختلفة ،

وكانت موطن شعوب مشركة وديانات وثنية - تسرب إليه  
المخلفات و الرواسب من الديانات السائدة ، وكان يخشى أن  
يغيب هذا الينبوع في الظلمات المتراكمة ، حتى يضل الخريت  
و يحار الدليل .

و لذلك لما بدأ الامام السرهندي رحلته التجديدية  
و كانت أول خطوة خطاها على طريق الانبياء و على نفس  
المنهج الذى سار عليه الرسل ، هى الخطوة نحو إصلاح  
العقائد و تصحيح الاتجاه ، فقد كان إيمانه عن سجدة التحية  
أمام السلطان جهانكير و رفضه لهذه البدعة الشنيعة عنواناً  
لامعاً فى تاريخ إصلاحه و تجديده ، وقد تناول فى رسائله التى  
وجهها إلى مختلف أصحابه و أتباعه بيان حقيقة التوحيد بأسلوب  
واضح مبين ، و عبارات موجزة جامعة رصينة ، و قدم  
دلائل وبراهين على وحدانية الله - تعالى - وأنه هو المستحق  
للعبادة وحده ، بأسلوب يدل على رسوخه وعلو كعبه فى  
هذا العلم ، و قام يدحض الشرك و مظاهره و تقاليده ونهى  
أصحابه و أتباعه نهياً شديداً عن الأعمال الشركية و العادات

الجاهلية و تقاليد الكفار من اليهود و النصارى و المشركين ،  
إذ أنه لا بداية لعمل الإصلاح و التجديد إلا به ، فضلا  
عن نهايته و كاله .

وهنا مقتطفات من رسالة مسببة كتبها إلى امرأة صالحة  
بايعته وتابت على يده ، وقد تضمنت هذه الرسالة الرد على  
عامة ما يتبلى به الجاهلاء من المشركين خصوصاً النساء منهم ،  
يقول فيها .

« إن تعظيم مظاهر الشرك وأعياد الجاهلية من أعظم  
أنواع الاشرار بالله - عزوجل - و أن من يعتقد بصحة  
دينين و صلاحيتهما في وقت واحد فهو مشرك ، وأن من  
يعمل بأحكام الاسلام وأعمال الكفر والشرك فهو مشرك ،  
و لا يتم الاسلام إلا بالبراءة من الشرك ومحادثه ومعاداته ،  
إن التوحيد هو الاشتزاز و النفور من كل شائبة من  
شوائب الشرك ، .

و يقول رحمه الله : « إن الاستعانة بالطواغيت  
والأصنام في دفع الأمراض وشفاء الاسقام - التي راجت

في المسلمين وعمت في دهمائهم - عين الشرك و الضلال ،  
و أن طلب قضاء الحاجات من الاحجار المنحوتة جحود  
صرح بالله - تعالى - وعين الكفر ، يقول الله - تبارك  
و تعالى - مبنياً حال بعض الغواة الضالين :

« يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت و قد أمروا أن  
يكفروا به ، و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً » .  
و إن كثيراً من النساء - لغاية جهلن و ضلالهن -  
يطلبن قضاء حوائجن من غير الله و يسألن بأسماء ما أنزل  
بها من سلطان دفع البليات وكشف الكربات ، إنهن لأسيرات  
في أغلال الشرك و طقوسه و تقاليد .

و تتجلى هذه العقائد الشركية و تشاهد هذه الأعمال  
و تقاليد الجاهلية - بصفة خاصة - عند ما يتشر مرض  
الجدري ( الذي يعرف في أوساط النساء في الهند باسم  
« سيتله » ( ١ ) حيث تقع جميع النساء في الجهل المطبق ،

---

( ١ ) اسم إلهة من الالهات المفروضة المتخيلة عند وثى الهند ، يعتقدون أنها  
تسبب الجدري ، و لا يرتفع هذا الوباء ، و لا يشفى المريض إلا إذا  
أرضيت هذه الالهة بالنذور و القرابين .

و الكفر الصريح ، ويأتين بأعمال شركية ، وقلبا تجد امرأة  
تتقى دقائق هذا الشرك ، ولا تقدم على أى نوع من أنواع  
الشرك بهذه المناسبة ، اللهم إلا من عصم ربك .

(ص ٢٢٥ - ٢٢٦)

و قد كانت أكبر أغلوطة في هذا الصدد ، أغلوطة  
البدعة الحسنة ، فكان الناس قسموا البدعة قسمين البدعة  
السيئة ، و البدعة الحسنة ، و كانوا يقولون : إنه ليس كل  
بدعة سيئة فكثير من البدع حسنة ، استثيت من إطلاق  
حديث « كل بدعة ضلالة » .

إن ما قام به الامام السرهندى من معارضة شديدة  
و استنكار قوى لهذا التقسيم المحدث للبدعة الحسنة و البدعة  
السيئة في ثقة وقوة و اعتماد و بأسلوب علمي و استدلال  
موضوعي ، لا يوجد له نظير في كثير من الأقطار والأدوار  
في تاريخ الإصلاح الديني .

و هكذا استطاع أن يعيد إلى الاسلام مركزه من  
جديد في الهند ، ويعيد إلى السنة اعتبارها ويعيد في المسلمين

الثقة بالمصادر الصحيحة و بالكتاب و السنة ، و أن يكون  
للإسلام اتفاضة في الأقطار الإسلامية من شبه القارة الهندية  
إلى أفغانستان وتركستان ، إلى العراق وسوريا وتركيا ، وينهض  
جيل جديد من دعاة الإسلام الصحيح و العقيدة السليمة  
البعيدة من شوائب الفلسفات و الانحرافات وتأثير الديانات  
والحضارات الجاهلية ، ونشأت جبهة قوية واعية لمعارضة البدع  
و المحدثات ، و دعوة سافرة إلى العمل بالشريعة المطهرة  
و السنة السنية البيضاء ، و إقبال عام على الانابة إلى الله  
و تزكية النفوس ، و تهذيب الأخلاق ، و تحديد صلة  
العبودية بالله تعالى في ضوء الكتاب و السنة .

و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله  
ذو الفضل العظيم .

